كلمة رئيس عامّ الرهبانيّة الأنطونيّة الأباتي جوزف بو رعد
خلال اجتماع مجلس الجامعة للسنة الأكاديميّة ٢٠٢٤-٢٠٢٥

[١] "اِهْتِفُوا أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُونَ لِلرَّبِّ، بِٱلْمُسْتَقِيمِينَ يَلِيقُ ٱلتَّسْبِيحُ"

بهذه الكلمات يتوجّه صاحب المزمور إلى من أسماهم صدّيقين ومستقيمين، وبالكلمات عينها يطيب لي أن أحيّيكم، الأبَ الرئيس والآباء الأجلّاء والمدراء والعمداء، وأفتتح معكم سنةً أكاديميّةً جديدة. هي دعوةٌ لتمجيد الله تعكس وعيَ الإنسان لعظمة خالقه، وتنبع من شعورٍ عارمٍ بهول هذه العظمة، شعورٍ يجتاح صاحب الدعوة ويتخطّاه. لا يكفيه أن يعبّر وحده عمّا يختلج قلبَه، فيستعين بمن حوله لفرحٍ عميم؛ فالوحدةُ تليق بالحزن لا بالفرح، فالحزنُ مفردٌ، والفرحُ جمع. وتمجيدُ الله لا يُجيده إلّا الصادقُ مستقيمُ السيرة، السائرُ في خوف الله ومهابته، المنزَّه عن الخبث، لا ذو الوجهَين واللسانَين، طاهرُ القلب والفكر والعين، الذي وحده يُعاين الله.

ويضيف: [٢] "غَنُّوا لَهُ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً، أَحْسِنُوا ٱلْعَزْفَ مَعَ ٱلْهُتَافِ"

ليس المقصود من دعوة صاحب المزمور هذه التشجيعَ على الإنتاج الموسيقيّ. فرغم لغته الموسيقيّة الصرفة، فهو لا يتوجّه إلى محترفي النغم والتلحين، بل يخاطب مَن حالُهم حالُه، أي الذين وضعوا ثقتهم بالربّ واعترفوا له بالسيادة فأطاعوه. يجوز أن يكون بعضُهم فنّانين، ولكنّ أغلبَهم "متعدّين عا الكار"، تمامًا كما هي حالُنا وحالُ جوق المصلّين في احتفالاتنا الليتورجيّة. هؤلاء يُشهد لهم بالصدق والاستقامة، وليسوا من حاملي الشهادات في العزف أو الانشاد — و"قلّة ما" يُحسِنوهُما! ما يفيدنا من كلامه هو التشديد على البُعد الجماعيّ للدعوة، وعلى طابع الأغنية الجديد، وعلى التناغم في الجوق بين الحناجر والأوتار.

أيّها الحضور الكريم، أتوجّه إليكم بكلام التسبيح لله والتهليل، على إيقاع طبول الحرب وهتافات المقهورين والمظلومين وأنين الأطفال التي تصدح في سماء فلسطين ولبنان. همّي ليس أن أُخرجكم من الواقع — وهذا إنكارٌ لا يرتضيه الله — وإنّما أن أحثّكم على الانتفاضة على هذا الواقع. فإيمانُنا المسيحيّ يُلزمُنا التقاطَ علامات الرجاء بين الركام والدلالةَ عليها، ويُجبرُنا على القيامة، بلملمةِ جراحنا، والإصرارِ على مؤازرة طلّابنا في بناء مستقبلهم. وهذه المهمّةُ النبيلة لن يُكتبَ لها النجاحُ إلّا إذا أتممناها معًا، كجامعةٍ تحمل في اسمها وجيناتها الجمع. وهذا تحديدًا معنى عملنا في المجلس والجامعة.

والعملُ الجماعيّ ليس تلقائيًّا ولا سهلًا؛ يلزَمه الكثيرُ من التضحية، من ترويض "الأنا" وكبحِ جماحها لصالح "النحن"، لتقديم المصلحة العامّة على المنفعة الخاصّة الآنيّة العقيمة. شأنُه شأنُ التناغم في الجوق وبين "العزف والهتاف"، إذ يلزمه أوّلًا ضبطُ الصوت والإصغاء للآخرين، لتنصهر الأصواتُ في صوتٍ واحد... فيحلو السماع. وأمّا جديدُ أغنيتِنا فغالبًا لا يكون بالكلمات أو بالنغم، بل بالنفَس، بالأداء الذي يعكس دهشةً متجدّدة. والدهشةُ كالنفَس، لا تتكرّر. نعم، أنّ العمل في الجامعة أضحى لمعظمكم أليفًا، إلّا أنّه لا يسعه الوقوع في دائرة التكرار لئلّا يُصيبه داءُ الملل القاتل، والملَلُ يفتك بمناعة العمل فيُضحي كئيبًا، لا يقوى على التجدّد والفرح. جديدُكم هم الطلّاب، ورغبتُكم في إرواء عطشهم إلى التعلّم والنموّ والتألّق هي الحافزُ الأكيد لكلّ انطلاقةٍ جديدةٍ وزخمٍ متجدّد.

من موقعي الذي يجمع بين رعاية الجامعة والأبوّة الرهبانيّة العامّة، أودّ أن أشارككم باقتضاب نظرتَنا إلى الجامعة وانتظاراتِنا منها. بالنسبة للرهبانيّة، كما للمجتمع، الجامعةُ هي المرصد، هي المدينةُ القائمةُ على الجبل. أهلُها أرجُلُهم مغروسةٌ في الحاضر وعيونُهم على المستقبل. يُجيدون تمييزَ جودةِ بذارِ المستقبل الحاضرة بيننا، يرَون ثمارَها يانعةً في حين أن براعمَها لم تتكوّن بعد، ويسارعون إلى تنمية البذار ليكون لطلاّبهم، أهلِ الغد، قسطٌ في خيرها ونصيب.

أوّلُ البذارِ الواعدة وأهمُّها الذكاءُ الاصطناعيّ الذي يجتاح عالمَنا، فيما الناسُ عندنا ما زالوا ينقسمون حول "جنس طوائفهم". أحضّكم وبإلحاح على خوضِ غماره لتحجزوا لجامعتنا مقعدًا في مقصورة القيادة. إنّه تسونامي عصرِنا بكلّ ما للكلمة من معنى؛ لا مجال للهروب منه. إنّ تمسّكنا بما بنيناه مدى عصور، وقاوَمْنا هذا المدّ، فسيطيحُ بمعارفنا ويقتلعُنا ويُغرِقنا بعالمه. لا مفرّ لنا من ركوبِ مدّه الجارف وتحويله، قدرَ المستطاع، إلى قوّةِ دفعٍ تفتحُ لنا أبوابَ العالم الآتي حتمًا. هو تنّينٌ يلتهم سريعًا جنى أجيالٍ، وما علينا إلّا أن نروّضَه. حسبي أنّه سينسينا سريعًا التسونامي السابق، أي العالمَ الرقميّ الذي قلب عالمَنا، وبات لا حياة بل لا وجود لنا خارجه. لا وقتَ للبكاء على الأطلال. علينا أن نعودَ إلى مقاعد الدراسة لنتقن لغتَه وأساليبه، ونُفيدَ طلّابنا بها. علينا أن نعيدَ النظرَ في البرامج الأكاديميّة في كلّيّاتنا السبع، بمضامين موادّها وبطرائق تعليمها، وأن نُحضّر كوادرَنا التعليميّة والإداريّة لتواكب هذا المسارَ التجديديّ. كما وعلينا، وانطلاقًا من رسالتنا الكنسيّة، أن نُساهمَ في بلورة معاييرَ أخلاقيّةٍ تسمح بضبط "مخلوق الإنسان" الأخير هذا، ليكون في خدمةِ كلّ إنسانٍ وكلّ الإنسان.

يا أهلَ جامعتِنا، إليكم تتطلّع الرهبانيّة في يوبيلها القادم واحتفالِها بثلاثِ مئةٍ وخمسٍ وعشرين سنةً على تأسيسها. نريدكم أن تُنشدوا معنا نشيدَ الشكر لله على عنايته بنا على مرّ أجيالٍ وأجيال. نتطلّع إلى التعاون معكم والإفادة من خبرتكم في العالم الرقميّ، للمحافظة على إرث رهبانيّتنا الروحيّ الثقافيّ المدوَّن، ولبلورة برامجَ مشتركةٍ يكون للجامعة في يوبيلنا إسهامٌ ودور. بشوقٍ نتطلّع لحجزِ مكانٍ لنا كرهبانيّةٍ في خططكم الاستراتيجيّة، ولتفاعلٍ مثمرٍ بين رسالاتنا ومؤسّساتنا وبينكم.

أحثّكم أن ترتقوا جميعًا إلى رتبة الباحثين التي وحدها تليق بأهل العلم. لا تجعلوا من الجامعة مخزنَ معارفَ آيلةٍ إلى التلف، فالباحثُ لا يعيش على ما جَنَت يداه، على فائدةِ مدّخراته. "عِشنا وشفنا"، فالفائدةُ لا فائدةَ فيها، ولنا في فوائدِ مصارفِنا البائلة خيرُ دليل! لا تملّوا من استشراف المستقبل، فلو لم يستشرفْه أسلافُنا، لما كانت جامعتُنا اليوم على ما هي عليه.

بلسمَ الربُّ جراحَ وطنِنا الثخينة، وبارَك جهدَ أيديكم، وحفظَكم "وَلْيَرْفَعِ ٱلرَّبُّ وَجْهَهُ نَحْوَنَا وَيَمْنَحْنَا ٱلسَّلَامَ". (عدد ٦: ٢٦)